الوهابية هم شر البرية، وجوابه

ثم قال الكاتب: الوهابية هم شر البرية، نظروا إلى حضرة الرسول نظرة احتقار كنظرة إبليس لآدم -عليه السلام- حيث إنهم جردوه من كل مزاياه التي خصه الله بها من محبة ومنزلة وكرامة ووجاهة، وقالوا: إن المتوسل بالرسول -صلى الله عليه وسلم- كالمستشفع بالصنم سواء بسواء، لا فرق عندهم بين سيد البشر والحجر ... إلخ. جوابه أن نقول: { سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } فأئمة الدعوة السلفية هم أولى الناس برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظرون إليه نظرة إكبار واحترام، فلا يصح عندهم الإيمان إلا بالشهادة له بالرسالة والنبوة، ويرون بطلان الصلاة بدون هذه الشهادة، ويعلنونها في الأذان وفي الخطب وفي الجمع والأعياد وفي مؤلفاتهم، ويرون أن محبته مقدمة على النفس والأهل والمال والولد والناس أجمعين، وأن من آثار محبته حب سنته واتباعه والتأسي به، وأنه الواسطة بين الأمة وبين الله، فإنه الذي دعا إلى توحيد الله وعبادته، وهدى الله الأمة على يديه، وأوجب الله على الأمة طاعته وقرنها بطاعة الله في أكثر من أربعين موضعا وأمرنا باتباعه، وعلق عليه الاهتداء ومحبة الله ومغفرته. فهو أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده، أمر الله الأمة أن يتقبلوا كل ما بلغه عن ربهم ويقنعوا بحكمه ويرضوا ويسلموا له تسليما، وأمرهم باحترامه في حياته بقوله: { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ } ومدح الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، ونهاهم عن دعائه باسمه العلم بقوله: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } وأمر بتوقيره بقوله: { لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } . فأئمة الدعوة -الذين سماهم هذا الكاتب وهابية- يعترفون للرسول -صلى الله عليه وسلم- بهذه الحقوق وهذه الأوصاف ونحوها، ولكنهم لا يعطونه شيئا من حق الله كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والإنابة والتعظيم، والركوع والسجود ونحوها؛ فكلها حقوق لله تعالى لا يصلح صرفها لغيره لا لملك مقرب ولا نبي مرسل وأحب أن أنقل هنا أبياتا في تفصيل حق الله وحق رسوله -صلى الله عليه وسلم- من نونية ابن القيم قال رحمه الله تعالى: لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان لا تجعلوا الحقين حقا واحدا من غير تمييز ولا فرقان فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا عتاب العبد من عصيان وكذا التوكل والإنابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن وكذا العبادة واستعانتنا به إياك نعبد ذاك توحيدان وكذلك التسبيح والتكبير والتـ هليل حق إلهنا الديان لكنما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها يا أولي العدوان حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان ورسوله فهو المطاع وقوله الـ مقبول إذ هو صاحب البرهان وهو المقدم في محبتنا على الـ أهلين والأزواج والولدان وانظر شرح هذه الأبيات في شرح قصيدة الإمام ابن القيم 2\348 للشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله. فأئمة الدعوة الذين اقتدوا بالسلف الصالح والأئمة يحبون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من كل قلوبهم، ويعتقدون أن له عند الله الكرامة والرفعة والمنزلة العالية والوجاهة والقرب من الله، ولكن مع هذه الخصائص لا يصح أن يصرف له شيء من حق الله تعالى، ولا يتوسل بذاته ولا بذات غيره من الخلق، وإنما يتوسل بمحبته واتباعه وتصديقه. ولقد كذب هذا الكاتب في أنهم جعلوا المتوسل به كالمتوسل بالصنم، وأنه لا فرق عندهم بين سيد البشر والحجر. نعوذ بالله من البهت والزور والفجور، وهكذا زعمه أنهم نظروا إليه نظرة احتقار كنظرة إبليس لآدم فكيف احتقروه وهم يشهدون له بالرسالة ووجوب الطاعة، ويرون أن الطرق مسدودة إلا من طريقه، وأن من قدم حكم غيره على حكمه فقد ضل سواء السبيل، فأين الاحتقار الذي زعمه هذا الكاتب؟ فليس من لازم محبته ووجاهته دعاؤه مع الله أو الاستغاثة به دون الله، فالله تعالى يقول: { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: { إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله } رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس كما في المسند 1 / 293. . فهذا الكاتب وأمثاله عندهم أن من تمام محبته واعتقاد وجاهته أن يعظم كتعظيم الله، فيحلف به دون الله، مع قوله -صلى الله عليه وسلم- { من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك } رواه أحمد 1 / 47 وغيره، عن عمر رضي الله عنه. أو يصرف له شيء من حق الله، أو يعتقد في ذاته الشريفة أنه يملك الضر والنفع، أو يعلم الغيب أو نحو ذلك؛ فليس هذا من لوازم الإيمان برسالته، ولا من علامات محبته، وإنما هو من الغلو الذي نهى عنه بقوله -صلى الله عليه وسلم- { وإياكم والغلو في الدين } رواه أحمد 1 / 5215 وغيره، عن عباس رضي الله عنه. وبقوله: { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله } رواه البخاري برقم 3445، عن عمر رضي الله عنه. .